



المركز الجامعي أحمد بن يحيى الوفشريسي
تيسمسيلت

المعيار

في الآداب والعلوم الإنسانية
والاجتماعية

مجلة دورية محكمة

إصدارات المركز الجامعي تيسمسيلت

العدد 19 ديسمبر 2017

SSN 2170-0931

شارك في هذا العدد

د.د. نورة عابد، د. آسيا واعر،
بن هلال سارة العالية، أ.د. كحلي عمارة،
د. ساسي سفيان، عبد القادر كباس، د. بشير دردار،
فريدة أولمو (الزيتوني)، د. قاسم قادة بن طيّب،
ملال صافية، د. كبكاني خديجة، د. رزايقية محمود،
د. خروبي محمد فيصل، د. بن نعمة محمد، د. بن رايح خير الدين،
أ.د. واضح أحمد الأمين، الباحث بعزي رضوان، الباحث قندوزان نذير
د. جبوري بن عمر، د. كحلي كمال، أ. بوعزيز محمد
د. ريوح صالح،

المعيار

في الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية
مجلة علمية محكمة تصدر عن المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي
تيسمسيلت - الجزائر

العدد 19 ديسمبر 2017

ISSN-2170-0931

المعيار

العدد 19 ديسمبر 2017

مجلة علمية محكمة تصدر عن المركز الجامعي أحمد بن يحيى
الونشريسي تيسمسيلت - الجزائر

ردمك ISSN 2170-0931

البريد الإلكتروني: www.asjp.cerist.dz (العلوم الاجتماعية)

رئيس المجلة:

أ. د. دحدوح عبد القادر

المدير المسؤول عن النشر:

د. عيساني محمد

رئيس التحرير:

د. مرسي رشيد

نائب رئيس التحرير:

د. بشير دردار، د. واضح أحمد الأمين

هيئة التحرير:

د. فايد محمد، د. عطار خالد، د. صالح ربوح، د. سعاديدة الهواري، د. بوعرعة محمد، د. مصايح محمد، د. بن راجح خير الدين، د. بوسيف إسماعيل،

د. يونس محمد

الهيئة العلمية:

من المركز الجامعي تيسمسيلت: د. بن فريجة الجلالي، د. بوركبة بختة، د. أحمد واضح أمين، د. تواتي خالد، د. ربوح صالح، د. غربي بكاي، د. شريف سعاد، د. يعقوبي قدوية، د. قاسم قادة، د. مرسل مسعودة، د. بن علي خلف الله، د. بلمصايح خالد، د. رزايقة محمود، من جامعة ابن خلدون تيارت:

أ. د. بوزيان أحمد، من جامعة صفاقس، تونس: أ. د. عبد الحميد عبد الواحد، د. بوكري بن عبد الكريم، من جامعة المنصورة، مصر: د. محمد كمال سرحان، من جامعة طرابلس، ليبيا: د. أحمد شرراش، من الجامعة الأردنية، الأردن: أ. د. صادق الحايك، من جامعة الجزائر 03، الجزائر: د. فتحي بلغول، من جامعة ملين دباغن، سطيف: أ. د. بوطالي بن جدو، من جامعة وهران: أ. د. مختار حبار، من جامعة سيدي بلعباس: أ. د. محمد بلوحي، من جامعة سعيدة: د. عبد القادر راجحي، من جامعة تلمسان: أ. د. محمد عباس، أ. د. عبد الجليل مرتاض، من جامعة تيزي وزو: أ. د. مصطفى درواش، من جامعة مستغانم: د. منصور بن لكحل، من جامعة زيان عاشور، الجلفة: د. حري سليم، من جامعة حسنية بن بوعلي، شلف: أ. د. حفصاوي بن يوسف، أ. د. موسى فريد، د. مخلوف أوسماعيل،

UNIVERSITIE PAUL SABATIER TOULOUZE 03. FRANCE: CRISTINE Mensson.

شروط النشر وضوابطه

تراجعى فى المقال الشروط التالية:

- 1- أن لا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم لمجلة أخرى للنشر (تعاهد مضى من قبل المعنى).
- 2- كل المقالات تخضع للتحكيم.
- 3- لا يقل البحث عن عشرة صفحات ولا يتجاوز خمسة عشر صفحة.
- 4- بالنسبة للغة العربية يكون الخط ب Traditional Arabic فى متن المقال بحجم 16 بفارق طبيعى بين السطور Simple 0/0، أما الخط فى اللغات الأجنبية فىكون بـ Roman Times News بحجم 12 بفارق طبيعى بين السطور Simple 0/0
- 5- المصادر والمراجع تكون فى آخر المقال، وبطريقة يدوية ولا يستعمل فيها التهميش الأوتوماتيكي، حيث يذكر المؤلف، ثم عنوان الكتاب، دار النشر، المدينة، البلد، رقم الطبعة، سنة الطبع. وأخيرا الصفحة.
- 6- المجلة: المؤلف، "عنوان المقال"، عنوان المجلة، الرقم، السنة. وأخيرا الصفحة.
- 7- كتاب جماعى: المؤلف، "عنوان الفصل"، ضمن (عنوان الكتاب)، منسق الكتاب، الطبعة، المدينة، دار النشر، وأخيرا الصفحة.
- 8- الأطروحات: المؤلف، (السنة)، عنوان الأطروحة، أطروحة دكتوراه تخصص.....، الجامعة، البلد.
- 9- يرفق المقال أو الدراسة بملخص باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، فى عشرة أسطر (150 كلمة على الأكثر) مع عشر كلمات مفتاحية
- 10- على الأكثر) على أن يعبر عن محتوى المقال المقدم للنشر.
- 10- كل مقال غير قابل للنشر لن يعاد لصاحبه واللجنة العلمية تعلمه بنتائج تقييمه العلمى وفق التحكيم.
- 11- يقدم صاحب المقال عنوانا لضمان مراسلته من قبل هيئة تحرير المجلة.
- 12- يمكن لصاحب المقال المنشور الاطلاع عليه فى الموقع الالكترونى للمركز الجامعى .
- 13- الأعمال المقدمة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- 14- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسؤولة عن آراء وأحكام الكاتب.

ترسل المقالات البوابة الإلكترونية www.asjp.cerist.dz

مجلة المعيار

كلمة العدد

بعد دخول مجلة **المعيار** إلى بوابة النشر الإلكترونية ASJP.cerist.dz في عدديها التاسع عشر والعشرين، تكون قد حققت خطوة جبارة في الانضمام إلى الفضاء العلمي الجامعي المحكم.

احتوى العددان كعادتهما على أبحاث متنوعة، في الآداب والعلوم والإنسانية والاجتماعية، فجمع هذا العدد المقالات التي تناولت مواضيع ذات الصلة بكل ماهو أدبي، إنساني واجتماعي، كمفهوم الثقافة الجمالية في الحضارات والابداع الشعري القديم بين هاجس الإبداع وسلطة الرقيب، وأزمة الفكر العربي المعاصر، والفلسفة والتاريخ. ليختتم بأبحاث اجتماعية أخرى في النشاطات البدنية والرياضة، الكفاية التدريسية لأستاذ التعليم الثانوي وعلاقتها ببعض المهارات الحياتية (التواصل) لدى تلاميذ المرحلة الثانوية أثناء حصة التربية البدنية والرياضية. هذا عن العدد التاسع عشر.

في حين جاء العدد العشرون متنوعا بين الحقوق والعلوم السياسية والاقتصادية، فكانت مواضيعة الحقوقية والسياسية تتحدث عن الشريعة والقانون، وعن أسعار النفط ودور الميزانيات العامة للدول، والبرصة الجزائرية ودورها في التنمية، وواقع القيادة في المؤسسة وتنمية الموارد البشرية.

المدير المسؤول عن النشر

د. عيساني احمد

فهرس الموضوعات

- د. عيساني امحمد : ص 04
- كلمة العدد.
- د. نورة عابد : ص 06
- مفهوم الاختلاف في فلسفة هابرماس
- د. آسيا واعز : ص 16
- الهوية العربية الإسلامية من الاعتزاز إلى الاغتراب
- بن هلال سارة العالية/ أ. د. كحلي عمارة : ص 30
- الجمالية في الخطاب الإشهاري المطبوع بين الشكل والوظيفة
- د. ساسي سفيان : ص 47
- قراءات في أزمة الفكر العربي المعاصر
- عبد القادر كباس/ د. بشير دردار : ص 59
- الشاعر القديم بين هاجس الإبداع وسلطة الرقيب مقارنة ثقافية في عمود الشعر العربي
- فريدة أولو (الزيتوني) : ص 71
- الفلسفة ومفهوم الثقافة الجمالية بين الحضارات.
- د. قاسم قادة بن طيب : ص 88
- معالم من النظرية التعليمية في أسلوب كتاب المعيار للنشرسي
- ملال صافية/ د. كبدي خديجة : ص 99
- المشكلات النفسية والسلوكية لدى طفل الروضة قلق الانفصال نموذج
- د. رزاقية محمود : ص 117
- السبك والحبك في التراث اللغوي العربي دراسة في الأبعاد الوظيفية
- د. خروبي محمد فيصل. د. بن نعمة محمد. د. بن رايح خير الدين. أ. د. واضح أحمد الأمين : ص 133
- توجه المنافسة الرياضية في ظل مصادر ضغوط المنافسة لدى أواسط كرة القدم (17- 19 سنة)
- الباحث بعزي رضوان، الباحث قندوزان نذير : ص 150
- الكفاية التدريسية لأستاذ التعليم الثانوي وعلاقتها ببعض المهارات الحياتية (التواصل) لدى تلاميذ المرحلة الثانوية أثناء حصة التربية البدنية والرياضية.
- د. جبوري بن عمر، د. كحلي كمال، أ. بوعزيز محمد : ص 166
- إسهامات ممارسة الأنشطة البدنية والرياضية في تحقيق التوازن النفسي لدى التلاميذ بالمؤسسات التعليمية.
- د. ريوح صالح : ص 178
- وحدات تعليمية مقترحة باستعمال أسلوب التدريس (التضميني والتدريبي) وأثرهما على الإنجاز الرقي لنشاط القفز الطويل لدى تلاميذ المرحلة الثانوية

السبك والحبك في التراث اللغوي العربي

دراسة في الأبعاد الوظيفية

د. محمود رزايقية

المركز الجامعي تيسمسيلت

الملخص:

موضوع السبك والحبك من الموضوعات التي اهتم بها علم اللغة النصي، إذ اللسانيات النصية الحديثة تركز في مستواها الأول على التلاحم بين أجزاء النص، وروابطه الداخلية، وإبراز أهم الخواص التي تؤدي إلى تماسكه، وبالتالي تحقق له سمة النصية.

غير أن مصطلحي (السبك والحبك) يُعدّان من المصطلحات التي تباينت آراء الدارسين بشأنهما، وذلك عن طريق إيجاد مُقابل عربيّ لهما، حيث تعددت المسميات مقابل المصطلح الأجنبي: (cohesion) و (coherence).

وقد اختار الباحث مُصطلحي (السبك والحبك) من بين المصطلحات الأخرى: (الاتساق، الانسجام، الترابط، التماسك، التضام، التلاحم...)؛ وذلك لوضوح دلالتهما في التراث العربي، ولثبات المصطلحين في الدراسات النصية العربية، واستعمالهما لدى الرواد من الباحثين العرب. تسعى هذه الدراسة إلى إثبات أسبقية العلماء العرب القدامى في الممارسات النصية الواعية، ويمكن تحقيق هدفين أساسيين:

الأول: السبك؛ أي تحقيق الترابط بين التراكيب والعناصر اللغوية المختلفة لنظام اللغة من خلال رصد (الضمائر والإشارات المحلية)، وتوظيف وسائل الربط المختلفة، ك(العطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، والاستدراك، وغيرها...).

الثاني: الحبك؛ أي تحقيق الترابط الدلالي للنصوص، وذلك من خلال العلاقات الدلالية التي تفرض على القارئ أن يتفاعل مع النص.

الكلمات المفتاحية: السبك، الحبك، التراث اللغوي، اللسانيات، النص، علم النص.

La cohésion et la cohérence dans l'heritage de linguistique arabe

Etude des dimensions fonctionnelles

RESUME

Le thème de la cohésion et de la cohérence est un des thèmes auxquels la linguistique textuelle accorde un grand intérêt, du fait que cette science moderne axe ses recherches au premier plan, sur la cohésion des différentes parties du texte, ses relations internes, et met

en évidence les particularités qui garantissent son unité, et par là même son aspect textuel. Néanmoins les deux termes (habk, et sabk) en tant qu'équivalents arabes des termes (cohérence, cohésion) ; ne font pas l'unanimité parmi les chercheurs arabes, du moment que certains proposent d'autres termes.

Quant à moi, j'opte dans cet article pour ces deux termes là (habk, et sabk) ; et je le préfère à d'autres termes, tels que (ittissak, inssijam, tarabut, tamasuk, tadham, talahum). Ce choix est motivé par deux raisons, la clarté de leurs significations dans le patrimoine linguistique arabe, et leurs usages par les chercheurs arabes les plus illustres.

Cet article vise à réaliser deux objectifs :

1-La cohésion, c.-à-d l'établissement des relations entre les syntagmes, et les différents éléments constitutifs du système de la langue, à travers le repérage des pronoms et des déictiques, et la mise en fonction des différents connecteurs, comme la conjonction, l'ellipse, la comparaison, la concession, etc...

2-La cohérence, c.-à-d l'établissement des relations sémantiques dans les textes, à travers les rapports sémantiques qui imposent au lecteur l'interaction avec le texte.

MOTS CLES : La cohésion, La cohérence, heritage de linguistique, le texte, linguistique

تمهيد:

لقد أكد دي سوسير F.DE SAUSSURE على دراسة اللغة دراسةً وصفيةً تزامنيةً، بوصفها نظاماً من العناصر المترابطة؛ من نحوية، وصرفية، ومعجمية، وليس بوصفها مجموعة كيانات مكتفية بذاتها. وآراء دي سوسير تركت بصمات عميقة على الدرس اللغوي الحديث، إذ تأسست مدارس لغوية كثيرة، كان اهتمامها منصباً على دراسة اللغة دراسةً وصفيةً قائمةً على استقراء المادة اللغوية واستنباط القواعد النحوية من اللغة ذاتها.

إنّ الذي يعيننا من هذه التطورات المتلاحقة لعلم اللغة في العصر الحديث، هو ذلك الاتجاه الداعي إلى دراسة الوحدات اللغوية الأكبر من الجملة، ونقصد به النصّ، إذ ثمة إشارات نجدها عند بعض علماء اللغة - حتى منتصف القرن العشرين - تدعو إلى تجاوز حدود الجملة في الدرس اللغوي، وهذه الإشارات وإن لم تلقَ صدىً في حينها، إلا أنّها تُعدّ البذرة الأولى في ظهور هذا الاتجاه من الدرس اللغوي المعاصر.

هذه الإشارات والمحاولات تمحورت حول "علم النص" أو ما يسمّى بالنصية، وقد شغلت النصية (TEXTUALITE) مكاناً هاماً بين الدراسات اللغوية الحديثة، وذلك لما قدّمته من تحليلات مُقنعة لِمُتطلّبات الدرس اللغوي الحديث الذي اكتشف أنّ التحليل على مستوى الجملة غير كافٍ، ولا بُدّ من تجاوز حدود البنية اللغوية الصغرى - الجملة - إلى فضاء أرحب وأوسع، هو الفضاء النصّي. وهذا التجاوز لا يعني القطيعة العلمية المطلقة بين اللسانيات الجُمليّة واللّسانيات النصيّة، وإنما العلومُ تستفيدُ ممّا

سبقها، مع تجاوزِ النَّقص والقصور الذي كان موجوداً في اللسانيات الجُمليّة، على أساس أنّ علم النصّ يُعدُّ تطويراً وتوسيعاً للدراسات اللسانية الجُمليّة التي شُغل بها اللغويون منذ بلومفيلد BLOOM FEILD إلى تشومسكي N.SHOMSKY.

والنصيّة، أو علم النصّ، وكثيراً ما يعبر عنها في المظانّ اللسانية بـ(السبك والحبك) أو بـ(التماسك/الاتساق)، احتلّت مكاناً كبيراً في الدرس اللساني الحديث؛ لأنها تعنى بتحديد الكيفيات التي يتماسك بها النصّ/الخطاب وينسجم، وذلك بخضوع النصّ لعملية تحليلية تكشف عن الأبنية اللغوية وكيفية تماسكها وتجاورها، من حيث هي وحدات لسانية، تتحكم فيها قواعد إنتاج النصّ/الخطاب.

إنّ علم لغة النصّ فرعٌ من فروع علم اللغة إنّ لم نقل هو أحدث فروع علم اللغة، حيث يهتم بدراسة النصّ - بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى - دراسةً موضوعيةً تُركّز في مستواها الأول على التلاحم بين أجزاء النصّ، وروابطه الداخلية، والكشف عن الخواص التي تؤدي إلى تماسكه. وهذه الروابط هي ما يُعبر عنه بـ(وسائل السبك والحبك)، وهذان المعياران من أوثق المعايير صلةً بالنصّ. إضافة إلى متطلبات السياق النصي textual context، والعلاقات النصيّة، والبنى النصيّة الكبرى، والعلاقة التواصلية بين المنتج والمتلقي، والتأثير الذي يتركه النصّ عند المتلقي.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن أتناول ملامح السبك والحبك في الإرث اللغوي، وأهم الطروحات النصيّة في تراثنا العربي، وصولاً إلى نقاط التقاطع التي تجمع مفاهيم النصّ في اللسانيات النصيّة وفي الدّراسات اللغوية العربيّة قديماً وحديثاً، كما سعت هذه الدراسة إلى تلمّس أهمّ مسألة في سياق لسانيات النصّ، ألا وهي مسألة الترابط النصّي بمحوريه؛ الرابط الشكلي(السبك)، والترابط المضموني (الحبك)، وهذان المعياران من أوثق المعايير صلةً بالنصّ، كما أنهما يشتركان في العنصر اللساني.

مفهوم النصّ في اللسانيات الحديثة:

على الرّغم من اتفاق علماء النصّ على أنّ النصّ هو (الوحدة الدلالية الكبرى)، فجدّير بالذكر أنّ نُتبه إلى أنّ كلمة (نص) أُحيطت بكثير من الغُموض والإبهام ممّا حال دون وضوح دلالاته، ولعلّ ذلك يرجع إلى تعدّد المعايير والأشكال، وتنوّع المداخل التي يفترضها كلّ باحثٍ عن مفهوم النصّ. وربما يعود هذا الغموض إلى غايات وتوجّهات كلّ باحثٍ؛ فمنهم من يُركّز على الجانب الشكلي للنصّ، ومنهم من كان اهتمامه متوجّهاً إلى الجانب الدلالي، ومنهم من اهتمّ بالجانب التداولي⁽¹⁾.

إذا أنعمنا النّظر في مقولات اللسانيين وعلماء النصّ الغربيين نضغ أيدينا على أهمّ خاصيتين من الخصائص التي تُحقّق النصّ كمصطلح ومفهوم؛ وهما:

أولاً: النصُّ نسيجٌ.

ثانياً: الترابطُ النصِّي.

ومن هنا وُصفَ النصُّ بأنه نسيجٌ من الكلمات يترابطُ بعضها ببعض⁽²⁾.

يعرّف (برينكر BRINKER) النصَّ بأنه تتابعٌ مترابطٌ. ويُستنتج من ذلك أنّ الجملة بوصفها جزءاً صغيراً ترمزُ إلى النصِّ، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة، أو علامة استفهام، أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنها وحدة مستقلة نسبياً⁽³⁾.

أما (فاينرش H. WEINRICH) فيرى أنّ النصَّ "تكوينٌ حتميٌّ يُحدّدُ بعضه بعضاً، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضاً لفهم الكلّ؛ لأنّ النصَّ - في أصله - مترابطُ الأجزاء، والفصل بينها يؤدي إلى عدم وضوح النصِّ وإلى عدم تحقّق الفهم. ويفسّر هذا بوضوح من خلال مصطلحي (الوحدة الكلية)، و(التماسك الدلالي للنص)⁽⁴⁾.

ورأى كلٌّ من هاليداي HALIDAY ورقية حسن R. HASSEN أنّ كلمة "النص" في علم اللغة تُستخدم للإشارة إلى أيّ فقرة، منطوقة أو مكتوبة، مهما طالت أو امتدّت، شريطة أن تكون وحدة دلالية متكاملة. فالنصُّ "يمكن أن يكون منطوقاً أو مكتوباً، نثراً أو شعراً، حواراً أو منولوجاً، يمكن أن يكون أي شيء، من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها، من نداء استغاثة حتى مجموع المناقشة الحاصلة طوال اليوم في لقاء هيئة"⁽⁵⁾.

وأفضلُ نظرةٍ للنصّ أنّه وحدةٌ دلالية، وهذه الوحدة ليست وحدة شكلٍ ولكنها وحدةٌ معنى. لذا فإنه - أي النص - يتّصل بالعبرة أو الجملة بالإدراك لا بالحجم⁽⁶⁾.

ومع صلاحية كل التعاريف السابقة للنصّ، فإنّ (روبرت دي بوجراند R. DEBEAUGRANDE) حدّده بصورة أكثر استيفاء بعد أن اطّلع على الدراسات السابقة. فهو ينظر إلى النصّ على أنّه عبارة عن تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال، ولا بدّ من صدور النصّ عن مشارك أو أكثر ضمن حدود زمنية معيّنة، وليس من الضروري أن يتألّف النصُّ من الجمل وحدها، وإنما قد يتألّف من جملٍ أو كلماتٍ مفردة أو أيّة مجموعات لغوية تحقّق أهداف الاتصال، ومن جهة أخرى فقد يكون بين بعض النصوص من الصّلة المتبادلة ما يؤهلّها لأن تكون خطاباً⁽⁷⁾.

الملاحظ أنّ بوجراند نظر إلى النصّ من جميع زواياه؛ فجاء عنده التعريفُ أعمّ من غيره وأشمل، مؤكّداً على المعايير السبعة: (الاتّساق، الانسجام، القصديّة، المقبولية، المقامية، التناص، الإعلامية)⁽⁸⁾.

وقد انتقل مفهوم النصّ بصبغته الغربية إلى حيز الدّراسات اللّغوية والأدبية العربية، حيث وضع المتلقّي العربيّ في مأزق ابستمولوجي، وذلك لعدم قدرته على الربط بين المفهوم (المعجمي العربي) الذي يعرفه وبين ما تبثّه الحقول المعرفيّة في المصطلح من مفاهيم جديدة.

فلا غرو أن نجد الباحثين واللّسانيين العرب يرضخون للمصطلح الغربي بما يكتنزه من تحولات معرفية، وبما يضيف من علامة لسانية ونقدية جديدة.

ويمكن أن نمثّل لذلك بعينة من الباحثين العرب في عصرنا:

1- عمّد الدكتور محمّد مفتاح إلى تتبّع مفهوم النصّ باعتبار الشفاهية والتدوين، إذ ينظر إليه على أنه "مدوّنة كلامية، وأنّه حدث يقع في زمان ومكان معيّنين، يهدف إلى توصيل معلومات، ونقل تجارب إلى المتلقّي" (9).

2- ويرتقي الدكتور سعيد حسن بحيري بالنصّ إلى المفهوم الإجرائي التداولي، فهو يراه "مجموعة من الأحداث الكلامية التي تتكوّن من مُرسِلٍ للفعل اللّغويّ ومُتلَقٍ له، وقناة اتّصال بينهما، وهدف يتغيّر بمضمون الرّسالة، وموقف اتّصال اجتماعيّ يتحقّق فيه التفاعل" (10).

3- أمّا الأزهر الزناد فينظر إلى النصّ على أنه "نسيج" (11) من الكلمات يترابط بعضها ببعض، كالخيوط التي تجمع عناصر الشيء المتباعدة في كيان كلّيّ متماسك" (12). ويبدو أثر (سوسير) واضحاً في تعريف الأزهر للنصّ، حيث يرى أنّ النصّ عبارة عن "علامة كبيرة ذات وجهين: وجه الدال، ووجه المدلول ... والنصّ نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض" (13).

وتعريف الأزهر الزناد قريب من تعريف هارفع R.harweg الذي رأى في النصّ "أنّه ترابط مستمرّ للاستبدالات السنتجيمية" (14) التي تُظهر التّرابط النحويّ في النصّ" (15).

وقد تبنى كلّ من إبراهيم الفقي وسعيد بحيري ما قدّمه (روبرت دي بوجراند R.DUBAUGRANDE) وزميله (ولفجانج دريسلر W. DRESSLER) في مفهوم النصّ، حيث ذكرا أنّ النصّ ما هو إلّا حدث اتصالي يستلزم - حتّى يتّصف بالنصّيّة - أن تتوافر سبعة معايير مجتمعة (16)، وهي:

- 1- الاتّساق (السبك) أو الربط النحوي: Cohesion -2 الانسجام (الحبك) أو التماسك الدلالي:
 - Coherence -3 القصديّة/ القصد - هدف النص: Intentionality -4 المقبوليّة/القبول - موقف المتلقي من قبول النص: Acceptability -5 الإعلاميّة/الإخبارية- توقّع المعلومات: Informativity -6
 - المقاميّة: تتعلق بمناسبة النص للموقف: Situationality -7 التناس: Intertextuality (17).
- وقام الدكتور سعد مصلوح إلى تصنيف هذه المعايير السبعة إلى (18):

- 1- ما يتّصل بالنصّ في ذاته، وهما معيارا (السبّك والحبك).
 - 2- ما يتّصل بمستعملي النص، منتجا ومتلقيا، وهما معيارا (القصدية والتقبّلية).
 - 3- ما يتّصل بالسياق المحيط بالنصّ، وهي المعايير الثلاث المتبقية (الإعلامية، والمقامية، والتناص).
- وما يهتمنا في هذا البحث هما معيارا " السبك والحبك "، إذ يمثلان صلب النص، وذلك لأنها يحيطان به من الجانبين؛ الأول: الجانب الشكلي (ظاهر النص) بدراسة الروابط اللفظية، والثاني: الجانب الداخلي (باطن النص) بدراسة الروابط المعنوية والدلالية في عالم النص.

السبك والحبك في التراث اللغوي العربي:

كان السبّك والحبك من أهمّ المقومات النصّية التي وقف عليها العلماء في التراث العربي القديم. إذ لا تتضح أدواتهما وعناصرهما إلّا من خلال التأمل في مظانّ الكُتب والتأليف العربية القديمة، عند المفسرين واللّغويين والنحويين، حيث تطرّقوا للسبّك والحبك، ولكن بألفاظ أخرى ارتبطت بسياقاتها اللّغوية في الدلالة عليهما؛ مثل: الاتّساق، والتآخذ، وأخذ بعض الأبيات بأعناق بعض، والتحام الأجزاء والتّامها، وجودة السبّك، والتضام، والتلاؤم، والتماسك، والانسجام، وغيرها من الألفاظ التي تشير إلى درايتهم بالنصّية إجراءً وتطبيقاً، استعمالاً وتوظيفاً.

تهدف الدراسة في هذا المبحث إلى النظر في التراث اللغوي العربي القديم، من أجل الكشف عن الإشارات النصّية في تراثنا القديم؛ وأنّ علماءنا القدامى كانوا على وعي بمعياري النصّية، المعيار الأوّل: (cohesion) الذي يعني بالجانب الشكلي للخطاب أو النص، وقد ورد في التراث العربي بمصطلح (السبك)، والمعيار الثاني: (coherence)، والذي يعنى بالجانب الدلالي، وقد ورد في التراث العربي بمصطلح (الحبك).

لكن ينبغي أن نشير في هذا المقام إلى أنّ العلماء العرب المعينين باللسانيات النصّية قد انقسموا على أنفسهم في وضع صياغة دقيقة ومحدّدة لترجمة المصطلحين الأجنبيين (COHESION) و (COHERENCE) على النحو التالي:

المصطلح	الترجمة إلى العربية	الكتاب - الكاتب - الصفحة
COHESION	السبك	سعد مصلوح (نحو أجرومية للنص الشعري، ص 154) - محمد العبد (حبك النص: منظورات من التراث العربي، ص 54) - تمام حسان (النص والخطاب والإجراء ص 299) - أشرف عبد البديع (الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن، ص 142)
	الاتّساق	محمد خطابي (لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 11)
	التماسك	الأزهر الزناد (نسيج النص، ص 15) - صبحي الفقي (علم اللغة

النصي بين النظرية والتطبيق، 93/1)		
الربط النحوي	سعيد بحيري (علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 123) - أحمد عفيفي (نحو النص، ص 224)	
الربط	سعد مصلوح (نحو أجرومية للنص الشعري، ص 228) - محمد العبد (حبك النص، ص 59) - أشرف عبد البديع (الدرس النحوي النصي، ص 108) - حسام فرج (نظرية علم النص، ص 127)	COHERENCE
الانسجام	محمد خطابي (لسانيات النص، ص 5)	
التماسك	سعيد بحيري (علم لغة النص، ص 143)	
الاتساق	تمام حسان (نحو الجملة ونحو النص - بحث، ص 1)	
الالتحام	تمام حسان (النص والخطاب والإجراء، ص 8)	

السبك والحبك بين اللغة والاصطلاح:

السبك في اللغة: هو عملية إذابة الذهب، أو الفضة، ووضعها في قالب من حديد؛ حتى تخرج متماسكة متلاصقة، وتسمى حينئذ سبيكة⁽¹⁹⁾. وجاء في أساس البلاغة للزمخشري: "ومن المجاز: هذا كلام لا يثبت على السبك، وهو سبّاك للكلام"⁽²⁰⁾.

هكذا انتقل (السبك) من الدلالة الحقيقية التي تعني الإذابة إلى الدلالة المجازية التي تعني "الكلام". فالمتكلم يقوم بجمع الألفاظ المختلفة، ويصبّها في ذهنه، ثم يجمعها بطريقة أخرى بحيث تبدو كأتمّ متماسكة.

ويتحقّق معيار السبك عند دي بوجراند بوساطة الترابط الرصفي القائم على النحو في بنيته السطحية، حيث المساحة للجمال، والتراكيب، والتكرار، والإحالات، والحذف، والروابط. ويحدّد الدكتور سعد مصلوح السبك بأنّه يختصّ "بالوسائل التي تتحقّق بها خاصيّة الاستمرارية في ظاهر النصّ surface text؛ ونعني بظاهر النصّ: الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها... ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ولكنها لا تشكّل نصّاً إلّا إذا تحقّق لها من وسائل السبك، ممّا يجعل النصّ محتفظاً بكيونونه واستمراريته..."⁽²¹⁾.

وهذا بيانٌ لعلاقات الربط الرصفي في معيار السبك، والتي تنقسم قسمين: أولهما الربط النحوي، ويضمّ ثنائي علاقات هي: مطلق الجمع، والتخيير، والاستدراك، والتفريع، والترتيب، والإحالة، والحذف، والروابط الزمنية. وثانيهما الربط المعجمي، ويضمّ أربع علاقات هي: التضام، والتكرار، والاستبدال، والتوازي.

الحبك في اللغة: جاء في لسان العرب: "الْحَبْكُ: الشَّدُّ، وَاحْتَبَكْ بِإِزَارِهِ: احْتَبَى بِهِ وَشَدَّهُ إِلَى يَدَيْهِ، وَالْحَبْكَةُ: أَنْ تَرْخِيَ مِنْ أَثْنَاءِ حِزْرَتِكَ"⁽²²⁾ من بين يديك لتحمل فيه الشيء ما كان، وقيل الحبكة: الحجرة بعينها، ومنها أُخِذَ الاحتباك: وهو شُدُّ الإزار"⁽²³⁾.

والاحتباك من الحبك ومعناه "الشّد والإحكام وتحسين أثر الصّنع في الثوب" (24).
قال الجوهري (ت 398هـ): "الحباك والحبيكة: الطريقة في الرمل ونحوه ... وحبك الثوب يحبكه - بالكسر - حبكاً أي: أجاد نسجه، قال ابن الأعرابي: كل شيء أحكمته وأحسنه صنعه فقد احتبكته" (25).

فالحبك إذاً هو شّد الإزار، وكلّ شيء أحكمته وأحسنه صنعه فقد حبكته واحتبكته.

الحبك اصطلاحاً:

أمّا في الاصطلاح البلاغي فقد بيّن الإمام جلال الدين السيوطي الصلة بينه وبين المعنى اللغوي فقال: "مأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشّد والإحكام، وتحسين أثر الصّنع في الثوب. فحبك الثوب سدّ ما بين خيوطه من الفرج وشده وإحكامه، بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق، وبيان أخذه منه من أنّ مواضع الحذف من الكلام شُبّهت بالفرج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه، فوضع المحذوف مواضعه، كان حاكماً له مانعاً من خلل يطرّقه. فسدّ بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحُسن والرونق" (26).

ومّا تقدّم يمكن أن نستخلص الرابطة المعنوية بين المعنى اللغوي والاصطلاح للحبك، وهو ذلك المعنى المشترك من الترابط والتراص والتداخل بين الأجزاء المتباعدة، بحيث يكمل كل جزء الجزء الآخر ويتممه ويفيده من غير إخلال في النظم والتأليف.

يقوم معيار الحبك عند دي بوجراند على الترابط الفكري أو المفهومي، الذي تحقّقه البنية العميقة للخطاب. فالحبك عنده يشمل مبدأ الترابط، ومضمون التماسك المعنوي، أو التعالق (27). كما أنّ الحبك عند الدكتور سعد مصلوح يختص بالاستمرارية في عالم النصّ textual word، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة من المفاهيم concepts والعلاقات الرابطة relations بين هذه المفاهيم (28).

وللربط المفهومي أو الحبك علاقات، وتقسم قسمين: العلاقات المرجعية أو (المصادقية)، والعلاقات المعنوية أو (المفهومية).

في التراث النحوي:

في التراث النحوي نجد النحاة يتعاملون مع التركيب بالاستناد إلى علاقات الإسناد فيه، أو بالنظر إلى الروابط التركيبية المتوفرة في الجملة الإسنادية. ويمكن أن نذكر حديث سيبويه في باب المسند والمسند إليه، يقول: "هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ممّا لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدءاً،

فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، والفعل والفاعل. وهو قولك: (عبدُ الله أخوك)، و(هذا أخوك)، ومثل ذلك: (يذهبُ عبدُ الله)، فلا بدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوّل بدٌّ من الآخر في الابتداء⁽²⁹⁾. وهذا يعني أنّ سيبويه لاحظ أنّ علاقة الإسناد هذه لا بدّ أن تنشأ من تضامّ كلمتين، وهذه العلاقة المعنوية هي التي أطلق عليها علماء النصّ الربط الدلالي، أو الحبك، أو الالتحام، وإن كان ذلك على مستوى الجملة، فإنّ الجملة هي نواة النصّ.

ويهتمّ سيبويه بموقع المفردة في التركيب ونظم الكلام، إذ يمكن أن يُعدّ الأساس النحوي لمن جاء بعده. يقول عن الكلام "فمنه مستقيمٌ حسنٌ، ومحالٌ، ومستقيمٌ كذبٌ، ومستقيمٌ قبيحٌ، وما هو محالٌ كذبٌ.. فأما المستقيمُ الحسنُ: أتيتك أمس، وسأتيك غداً، وأما المحالُ: فأنت تنقض أولَ كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً، وسأتيك أمس، وأما المستقيمُ الكذبُ فقولك: حملتُ الجبلَ، وشربتُ ماءَ البحرِ ونحوه، وأما المستقيمُ القبيحُ: فأنت تضع اللفظَ في غير موضعه نحو ذلك: زيدا رأيتُ، وكى زيداً يأتيتك، وأشباه هذا، وأما المحالُ الكذبُ فأنت تقول: سوف أشربُ ماءَ البحرِ أمس"⁽³⁰⁾.

يضع سيبويه في نصّه هذا بعض أسس قبول الكلام وعدم قبوله، وهذه الأسس تتعلق باستقامة الكلام دلالياً فضلاً عن استقامته نحوياً؛ لأنّ الكلام غير المستقيم نحوياً ليس له تفسيرٌ دلاليٌّ، وسيبويه وإن لم يذكر مصطلح (النص) صراحةً، فإنّ لفظة (الكلام) توحى بأن هذا الأساس النحوي يمكن تطبيقه على الجملة وما فوق الجملة.

ويعالج ابنُ الانباري (ت 327 هـ) ارتباط الكلام من حيث النظم والبناء والتلاؤم في قوله "إنّ كلام العرب يُصحّحُ بعضُهُ بعضاً، ويرتبطُ أوّلُهُ بآخره، ولا يُعرفُ معنى الخطاب إلّا باستيفائه واستكمال جميع معروفة"⁽³¹⁾. ومقتضيات هذا القول يؤكده اللّغويون المحدثون في اتساق النصّ، وارتباط أجزائه وتلاؤمها، وهو دليلٌ واضحٌ على سبق علماء العربية في النظر إلى المفردات من خلال التركيب والسياق. ومن العناصر التي تُسهّم في بناء النصّ عنصر الإحالة؛ لأنّ قسماً من الألفاظ لا يملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر آخر مذكور في أجزاء أخرى من الخطاب. من ذلك وقوف علماء النحو على الضمائر وأهميتها في بناء النصّ لقدرتها على الربط بين أجزاء النصّ المختلفة شكلاً ودلالة.

ويمكن التمثيل لذلك من خلال ما جاء به الإستراباذي (ت 686 هـ) حينما تحدّث عن الجملة الواقعة خبراً، يقول: "وقوله - يعني قول ابن الحاجب - (الخبر قد يكون جملة، نحو: زيدٌ أبوه قائمٌ وزيدٌ قائمٌ أبوه)، اعلم أنّ خبر المبتدأ قد يكون جملة فعلية أو اسمية... ولا تخلو الجملة الواقعة خبراً من أن تكون هي المبتدأ معنى أولاً، فإن كانت، لم تحتجْ إلى الضمير كما في ضمير الشأن، نحو: (هو زيدٌ قائمٌ، وكما في قولك: (مقولي زيدٌ قائمٌ)؛ لارتباطهما به بلا ضمير، لأنها هو وإن لم تكن إياه، فلا بدّ من ضمير ظاهر أو مقدّر، وقد يقام

الظاهر مقام الضمير، وإنما احتاجت إلى ضمير؛ لأن الجملة في الأصل كلامٌ مستقلٌّ، فإذا قصدت جعلها جزء الكلام فلا بد من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير، إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرض⁽³²⁾.

في التراث النقدي:

أما في التراث النقدي، فقد اعتمد الجاحظ (ت255هـ) في كتابه البيان والتبيين على مصطلح السبك في إشارات الشعر أو النثر المتلاحم الأجزاء. يقول في صفة الشعر: "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إ فراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"⁽³³⁾.

الجاحظ ينظر إلى السبك في البيت الواحد حتى يصبح كالكلمة الواحدة، وهذا يقود إلى السبك في النص بأكمله.

ويقول أسامة بن منقذ (ت584هـ): "وأما السبك؛ فهو أن تتعلّق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره"⁽³⁴⁾.

فقد كان النقاد العرب في طليعة المهتمين بتحقيق نصية النص من خلال الدعوة إلى وجوب الانسجام بين الناحيتين الشكلية والدلالية، وهذا ما تناوله الجاحظ في مجال الاتساق والتماسك النصي، حيث وسم مجموعة من الأبيات الشعرية بالتنافر، يقول: "ومن ألفاظ العرب ألفاظٌ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض استكراه، من ذلك قول الشاعر:

وقبر حَرْبٍ بمكانٍ قَفَرٍ وليس قُرْبٍ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٍ⁽³⁵⁾

ولما أرى مَنْ لا أعلم له أنَّ أحداً لا يستطيع أن يُنشِدَ هذا البيتَ ثلاثَ مرّاتٍ في نسقٍ واحدٍ فلا يُتعتع ولا يتلجّج"⁽³⁶⁾. فغاية البيان بلوغ الفهم والإفهام، وعليه قرّر الجاحظ أن أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء.

الجاحظ يركّز على تلاحم الأجزاء، بأن تتسم الكلمة بالسهولة واللين وتجاورها مع الكلمات الأخرى؛ وكأنّ الجاحظ يشير إلى (التوافق الصوتي) أو ما يسمّى في اللسانيات النصية بـ(السبك الصوتي) بين العبارات.

وروى الجاحظ عن عمر بن لجأ أنه قال لأحد الشعراء: "أنا أشعر منك! قال: وم؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه"⁽³⁷⁾.

فالأخوة والعمومة في كلام ابن لجأ إشارة واضحة إلى قوة الترابط الدلالي بين سلاسل المنطوقات المتوالية، ممّا يجعل النصّ كلاًّ موحدًا دالاً.

ومن المحاولات النقدية الرائدة التي نظرت إلى النصّ الشعري بنية كاملة، ما قام به حازم القرطاجيّ (ت684هـ)، في دراسته لقصيدة المتنبيّ (ت354هـ)، يمدّح فيها كافوراً الإخشيدي. يقول في مطلعها⁽³⁸⁾:

أُغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ وَالشُّوقُ أَغْلَبُ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ

حازم القرطاجيّ له نظرة أشمل للنصّ؛ حيث يقوم بتقسيم القصيدة إلى فصول، واشترط أن يكون معنى كلّ فصل تابعاً لمعنى الفصل السابق له ومرتبّطاً به، ثمّ وَضَعَ لهذه الفصول أحكاماً في البناء تضمّن تماسك الفصل، وتماسك الفصول يؤدّي إلى تماسك النصّ. فهو يصف مواد الفصل (الموضوع والألفاظ) بأنّها يجب أن تكون "متناسبة المسموعات والمفهومات، حسنة الاطّراد، غير متخاذلة النسيج، غير متحيّز بعضها عن بعض، التميّز الذي يجعل كلّ بيت كأنه منحاز بنفسه"⁽³⁹⁾.

وأشار الدكتور صلاح فضل إلى محاولة حازم، بأنّها تمثّل النظرة الكلية إلى النصّ، يقول: "حالة فريدة لم تتكرّر ينبغي الإشارة إليها، والتنويه بها، وهي التي نجدها عند بلاغيّ مغربيّ متأخّر هو حازم القرطاجيّ في تحليله لأجزاء القصيدة، وتسميته لكلّ منها فصلاً، وتمييزه بين (المطلع): وهو البيت الأول منها، و(المقطع): وهو مكان الوقوف، ولا يهمل الإشارة إلى وصلّ الفصول بعضها ببعض، بل يفعل ذلك بأسلوب الشرط، إذ يشترط أن يكون معنى كلّ فصل تابعاً لمعنى سابقه، ومنتسباً إليه في الغرض... ويمضي في تطبيق هذه التصورات على قصيدة المتنبيّ: (أغالبُ فيك الشوق والشوق أغلبُ)، فيوردها كاملةً، مُحلّلاً العلاقة بين أجزائها ووحداتها المكوّنة على هذا الأساس الدلالي الذي لا يقف عند حدود التعالق النحوي بين الجملتين"⁽⁴⁰⁾.

في التراث البلاغي:

وإذا تأملنا علم البلاغة وسيلةً إجرائيةً تطبيقية على النصوص، نجدها تمثّل "السابقة التاريخية لعلم النصّ، إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجّدها العام المتمثل في وَصَفِ النصوص وتحديد وظائفها المتعددة... وكذا تتوجه إلى المستمع أو القارئ لتؤثر فيه، وتلك العلاقات ذات خصوصية في البحث اللغوي النصّي... فعملية الاتصال تجمع العلاقة بين أطراف الاتصال الأساسية (نص - منتج - متلق)، وكيفيات التفاعل بينها..."⁽⁴¹⁾.

في البلاغة العربية برزت النظرة الشمولية إلى النصّ، فحينما ننظر - مثلاً - في كتاب إعجاز القرآن للباقلاّني (ت403هـ) نجده يؤكّد على النظرة الكلية الشمولية للنصّ القرآني بما يتمتّع به من خصائص تضمن انسجامه وتماسكه، وهي سبب إعجازه، يقول: "وقد تأملنا نَظَمَ القرآن فوجدنا جميع ما يتصرّف فيه من الوجوه التي قدّمنا ذكرها، على حدّ واحدٍ، في حُسْنِ النّظم، وبديع التّأليف والرّصف، لا تَفَاوَتْ فيه، ولا

انحطاطاً عن المنزلة العليا، ولا إسفافَ فيه إلى المرتبة الدنيا، وكذلك قد تأملنا ما يتصرّف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها على حدّ واحد لا يختلف⁽⁴²⁾.

وهناك إشاراتٌ كثيرةٌ ماثورةٌ في كُتُبِ العلماء الذين درسوا إعجاز القرآن الكريم عبر إدراك العلاقات النحوية (الوظيفية) بين الكلمات التي تتخذ منها موقعاً معيناً في الجملة حسب قوانين اللغة، حيث كلّ كلمةٍ في التركيب لابدّ أن يكون لها وظيفةٌ نحويةٌ من خلال موقعها من أجل وضوح المعنى وإبانة القصد. أمّا عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) فقد قدّم نظريةً نصيةً تكادُ تكون متكاملةً. ويمكنُ رصد المعالجة النصية عند الجرجاني من خلال استخدامه لبعض المصطلحات كـ (النظم، والتركيب، والترتيب، والتعليق، والاتساق، والبناء، ومقتضى الحال، ومقام الاستعمال) التي تنمّ عن استيعاب قلّ أن نجده عند غيره، ويظهر هذا في الأساس النظري الذي وضعه لنظريته في تحليل النصوص. يقول: "إنّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم تُوضع لتُعرف بها معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضمّ بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها فوائد. وهذا علمٌ شريفٌ، وأصلٌ عظيمٌ"⁽⁴³⁾.

وحتى لا تبقى آراؤه مجردَ نظرياتٍ تجريدية، انتقل عبد القاهر الجرجاني في منهجه إلى الجانب العملي، ويتّضح ذلك في أثناء تعرّضه لتحليل الآية الكريمة ((وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾))⁽⁴⁴⁾.

والآية هنا تُعتبرُ نصّاً لضمّها متوالية من الجمل والمفردات " وأنّ لم يعرض لها الحسنُ والشرفُ إلّا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقرّ إليها إلى آخرها، وأنّ الفضلَ نتائج ما بينها، وحصل من مجموعها"⁽⁴⁵⁾. ثمّ يعمدُ عبد القاهر إلى تفكيك مفردات الآية، يقول: "إن شككت فتأمل... قل: (ابلعي). واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. وكيف بالشكّ في ذلك؟ ومعلومٌ أنّ مبدأ العظمة في أن تُؤدّث الأرض، ثمّ أمرت، ثمّ في على أنه لم يغض إلّا بأمرٍ أمر، وقدرة قادر... ثمّ مقابلة " قيل " في الخاتمة بـ " قيل " في الفاتحة أن كان النداء بـ (يا) دون (أي)، نحو: (يا أيتها الأرض)، ثمّ إضافة الماء إلى الكاف، دون أن يقال: (ابلعي الماء)... ثمّ أن قيل: (وغيض الماء)، فجاء الفعل على صيغة "فعل" الدالة"⁽⁴⁶⁾.

ويرجع الإعجازُ إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، مؤكّداً " أنّ لا نَظَمَ في الكلام ولا ترتيبٌ حتّى يعلّق بعضها من بعض، ويُنسب بعضها على بعض، وتُجعل هذا بسبب من تلك"⁽⁴⁷⁾.

من خلال النظم استطاع عبد القاهر الجرجاني أن يتخطى البحث في العلاقات التي تربط عناصر الجملة العربية في النحو التقليدي، ليؤسّس نظريةً تهمّ بتحليل العناصر الداخلية للنص/ الخطاب الأدبي، حتى قيل: إنّ عبد القاهر كان على بعد خطوة واحدة من "النصبة" كما تُفهم في الدراسات المعاصرة⁽⁴⁸⁾.

فالخطوات العملية التي قام بها الجرجاني تكشف أنّ بناء النصّ لا يكون إلاّ بقوانين وآليات وأصول النحو العربي، يقول: "واعلم أنّ ليس النظم إلاّ أنّ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي تُجَبَّتْ؛ فلا تزيغ⁽⁴⁹⁾ عنها، وتحفظ الرّسوم التي رُسمت لك، فلا تُخلّ بشيءٍ منها"⁽⁵⁰⁾.

والمثال في مقولات دي بوجراند وما توصّل إليه من آراء ونظريات في علم اللّغة النصّي، نجدتها تتقاطع مع طروحات عبد القاهر الجرجاني. يقول دي بوجراند: "وعلى منتج النصّ أن يضع خطة للمحتوى المفهومي والعلائقي للنصّ، ثمّ يضع هذا المحتوى في صورة سطحية، أمّا من يستقبل فعليه أن يخطّط لإعادة السطح إلى المحتوى، وإعادة المحتوى إلى الخطّة التي وضعها هو، أي: المنتج لهذا المحتوى"⁽⁵¹⁾.

ما يمكن أن نتوصّل إليه، هو أنّ علماء اللّغة والنحو والنقد والبلاغة ساهموا قديماً في إنشاء نظرية لغوية نحوية نصيّة تلامس، في مسائلها وقضاياها ووسائلها الإجرائية، النظرية اللّسانية الحديثة؛ ويُبيّن الدكتور حسن بحيري في حديثه عن الدراسة النصية أنّ "أكثر الأفكار والأدوات التي نادى بها، هي في الحقيقة ذات أصول عميقة راسخة أعيدت صياغتها، ولم يحلّ ذلك التغليف الجديد من خلال مفاهيم ومصطلحات حديثة دون إمكان الكشف عن أصولها وتحديد موقعها في التراث المغضوب عليه"⁽⁵²⁾.

هكذا بحث علماؤنا القدامى مفهوم النصّ من خلال خاصيتي السّبك والحبك، وكانت لهم القدرة على أن يقيموا النحو العربي على أسس نصيّة دلالية، وذلك باعتبار نظرتهم العميقة وفهمهم الدقيق لأنظمة الربط النحوي والتماسك الدلالي.

الخاتمة:

هكذا وصلنا إلى نهاية هذا البحث، وهي نهاية أقلّ ما يُقال عنها أنّها لم تصل إلى درجة النّضج والاكتمال بحيث لا تترك مجالاً للإضافة والتوجيه.

وهذه أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث:

1- الحاجة إلى دراسة النصّ أصبحت ضرورة بعد أن عجزت الجملة في إغناء الدّراسات الحديثة فيما يتعلق بصفات النّصوص وظروف إنتاجها.

2- محاولة التّأصيل والتأسيس المعرفي للدّراسات اللّسانية النصيّة الماثلة في نماذج تطبيقية في تراثنا اللغوي العربي الإسلامي، وذلك بإبراز مساهمات العلماء في تراثنا العربي في حقل اللسانيات النصيّة.

3- ينبغي دراسة ظواهر اللّغة دراسة تكاملية، وأعني بالدراسة التكاملية: النظر إلى علوم العربية نظرة شمولية للارتباط الوثيق فيما بينها؛ فالنحو والصرف والنقد والبلاغة والتفسير كلّ متكامل، ويجب أن تشملته نظرة واحدة.

4-احتلّ معيارا (السبك والحبك) مكاناً كبيراً في الدرس اللساني الحديث؛ لأنهما يعنيان بتحديد الكيفيات التي يتماسك بها النص/الخطاب وينسجم، وذلك بخضوع النصّ لعملية تحليلية تكشف عن الأبنية اللغوية وكيفية تماسكها وتجاوزها، من حيث هي وحدات لسانية، تتحكم فيها قواعد إنتاج النص/الخطاب.

5-سعى البحث إلى الكشف أنّ أدوات السبك والحبك التي تناولها العلماء والدارسون ليست اكتشافاً جديداً في اللغة، فهي الروابط نفسها في نحو الجملة، غير أنّ النظرة إليها اتّسعت مع علم اللغة النصّي. وأخيراً، أرجو أن يكون هذا البحث قد أضاء جانباً هاماً من جوانب النصّيّة بمعيار (السبك والحبك) في الدرس اللغوي العربي القديم، عسى أن يفتح البحث آفاقاً جديدة لدراسات لاحقة.

الهوامش:

- (1) الفصل بين معياري النص (السبك والحبك): هو إجراء منهجي وتقسيم علمي فرضته طبيعة الدراسة، التي تهدف إلى الكشف عن وسائل الترابط النصّي، النحوية والدلالية؛ لأنّ صفة النصّ تطلق على النص نتيجة اتحاد جانبي السبك والحبك. السبك (الترابط اللفظي)، والحبك (الترابط المفهومي)، فالجانبان النصيان لا يمكن الفصل بينهما. فهما كوجهي العملة الواحدة.
- (2) ينظر: افتتاح النص الروائي: النص والسياق، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1989م ص 32، 33.
- (3) ينظر: التراكم العلاماتي بين النص المكتوب والنص المنطوق، محمد إسماعيل بصل، مقال (مجلة المعرفة)، وزارة الثقافة-الجمهورية العربية السورية، العدد: 370، 1994م، ص 66.
- (4) علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون-الشركة العالمية للنشر، لونغمان، ط1، 1997م، ص 103.
- (5) ينظر: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 108.
- (6) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص 13.
- (7) ينظر: نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001م، ص 22، وينظر: افتتاح النص الروائي: النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2001م، ص 17.
- (8) ينظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م، ص 98-101.
- (9) ينظر: النص والخطاب والإجراء، ص 103 - 105.
- (10) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986م، ص 120.
- (11) علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 110.

- (12) لفظ (نسج ونسيج) عربيٌّ أصيلٌ، ورد عند ابن طباطبا العلوي في كتابه (عيار الشعر) في خمسة مواضع. ينظر: عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 2005م، ص 37، 44، 71، 105، 109.
- (13) نسيج النصّ - بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص 12.
- (14) نسيج النص، ص12.
- (15) يراد بالسنتجيمية: الأفقية.
- (16) علم لغة النصّ: المفاهيم والاتجاهات، ص 108.
- (17) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة، القاهرة، ط 1، 2000م، 33/1، وعلم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، حسن بحيري، ص 145، 146.
- (18) ينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، 103-105.
- (19) ينظر: نحو أجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، بحث منشور في مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان (الأول والثاني)، يوليو 1991م، ص 154.
- (20) ينظر: معجم العين، الفراهيدي الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي مخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1984م، مادة (سبك)، 317/5.
- (21) أساس البلاغة، الزمخشري جار الله محمود بن عمر، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، 435/1.
- (22) نحو أجرومية للنص الشعري، ص 154.
- (23) الحجة: موضع شد الإزار، لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ -1994م، 332/5، مادة (حجز).
- (24) لسان العرب، 407/10، مادة (حبك).
- (25) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت817 هـ)، دار الفكر، بيروت، 1983م، 3/ 297، مادة (حبك).
- (26) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت398 هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، القاهرة، ط1، 1987م، 1578/4، مادة (حبك).
- (27) معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408 هـ -1988م، 243-242/1.
- (28) ينظر: لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ص 83.
- (29) نحو أجرومية للنص الشعري، ص 154.
- (30) الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط4، 2004م، 23/1.
- (31) الكتاب، سيبويه، 1 / 25 - 26.

- (32) الأضداد، ابن الأنباري أبو البركات، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، 1960م، ص 2.
- (33) شرح كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب، الرضي الإستراباذي نجم الدين محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان (د.ت)، 212/1.
- (34) البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 67/1.
- (35) البديع في نقد الشعر، حققه وقدم له: علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص 236.
- (36) البيت مجهول القائل، وقد نسبته بعضهم للجن بسبب تنافر أحرف ألفاظه. ينظر: كتاب الحيوان، الجاحظ أبو عثمان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1969م، 207/6.
- (37) الجاحظ، البيان والتبيين، 65/1.
- (38) المصدر نفسه، 206/1.
- (39) ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح: العكبري أبي البقاء، ضبط وتقديم: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم، بيروت- لبنان، ط1، 1997م، 173/1.
- (40) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس 1966م، ص 63.
- (41) بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، أغسطس 1992م، ص 246.
- (42) بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 246.
- (43) إعجاز القرآن، الباقلائي أبو بكر محمد بن الطيب، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1971م، ص 37.
- (44) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط2، 1997م، ص 391.
- (45) سورة هود: 44.
- (46) دلائل الإعجاز، ص 59.
- (47) المصدر نفسه، ص 53.
- (48) دلائل الإعجاز، ص 55.
- (49) ينظر: إشكالات النص - دراسة لسانية نصية، عبد الكريم بن جمعان، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2009م، ص 256 - 257.
- (50) زاغ: مألّ واعوجّ.
- (51) دلائل الإعجاز، ص 77.
- (52) النصّ والخطاب والإجراء، ص 421.